(الحجاج في شعر عروة بن الورد: دراسة وصفية)

أ.انتصار الفريح

كلية التربية والآداب– قسم اللغة العربية

جامعة الحدود الشمالية– المملكة العربية السعودية

. Entesar.alfrieh@nbu.edu.sa

intesaralfrieh@hotmail.com

المستخلص:

يفحص هذا البحث الخطاب الحجاجي في شعر عروة بن الورد، من خلال: دراسة العناصر الأساسية للعلاقة الحجاجية المتمثلة في: أقوال الانطلاق، وأقوال الوصول، وأقوال العبور في ديوانه. وفحص بعض التقنيات الحجاجية التي وظّفها عروة في حجاجه. والكشف عن مدى وفائها بمتطلبات الحجاج.

وقد تم اختيار ديوان عروة بن الورد؛ كونه يمثل نصًا قديمًا يتمثل فيه الإنسان للدفاع عن قيمه الفاضلة، بالإضافة إلى أن عروة اضطر فيه لمواجهة خصم مبجل، ومن الصعب التصدي له، هو: القبيلة العربية بكل استبدادها؛ ولذلك فهو ملزم بحشد كم هائل من الموجهات الحجاجية من جهة، وإلى التستر ببعض الأقنعة لتمرير قناعاته التي يخشى التصريح بها من جهة أخرى.

وقد تم الكشف عن تلك الموجهات الحجاجية على طريقة المنهج الوصفي، في إطار محدد يتخذ من النظرية الحجاجية اللغوية مرجعًا له، مع الاستفادة من معطيات النظريات الحجاجية المختلفة.

وقد خرجت الدراسة إلى أن عروة بن الورد يميل في حجاجه إلى فرض النتائج الحجاجية على المتلقي على طريقة الحجاج الجدلي من خلال الاستفادة من معطيات اللغة الحجاجية، وبعض تقنيات الخطاب. بالإضافة إلى أن عروة أنه قد يستخدم بعض التقنيات الحجاجية بصفتها قناعًا ينفذ منه إلى تحقيق نتائجه، مثل: المرأة العاذلة.

الكلمات المفتاحية: الحجاج – الحجاج الجدلي – القيم – التوجيهات – الفاعل المحاجج– الفاعل الهدف – الصعلكة – العاذلة

1. المقدمة:

يقع هذا البحث في دائرة البحوث التي تُقارب حجاجيًا نصًا أدبيًا، وبسبب المفارقة بين الأدب والحجاج، كان هذا البحث؛ ليضع الخطاب الشعري الذي طُبع على التخييل في موضع موازٍ للخطاب العادي؛ وذلك بالبحث في مُوجهات الإقناع في الخطاب الشعري بما فيه من خصوصية.

ولمّا كان الشعر الجاهلي يمثل أقدم النصوص الشعرية التي وصلتنا، وقع اختياري في هذا البحث على أحد شعرائه، هو: عروة بن الورد؛ حيث اتسمت نظرته للحياة ببعد مناهض لقيم مجتمعه الجائرة، وقد حاول من خلال شعره رسم النموذج الأعلى للإنسان، موسمًا إياه كل الصفات التي يفخر بها الجاهلي من: كرم، وشجاعة، وعدل.

ولأن التصدي لمجتمع قبليّ يحتاج إلى دأب كبير؛ كان النظر في هذا البحث في شعر عروة بن الورد من منظور حجاجي؛ حيث وقف عروة محاجّا أمام معارض كبير هو مجتمعه، وسخّر لأجل تلك المواجهة كل ما استطاعه من سُبُل، بما فيها: إمكانات اللغة الحجاجية.

وبناء على ذلك: يهدف هذا البحث إلى الكشف عن الموجهات الحجاجية في شعر عروة بن الورد، ومدى مساهمتها في تحديد شكل الحجاج، ومدى تأثرها بالسمات الشخصية للصعلوك.

ويهدف أيضًا إلى تفسير طريقة توظيف عروة للمرأة العاذلة التي اطردت كثيرا في مقدمات قصائده، ومقدمات استدلاله الحجاجي؛ وسيتم النظر

إليها بصفتها ذاتًا فاعلة في عملية الحجاج؛ حيث إنها معارض افتراضي استغله عروة كغطاء لتمرير أفكاره.

1.1. أهمية البحث:

تتأتى أهمية هذا البحث من كونه يقارب نصا شعريا مقاربة حجاجية؛ فيصبح الشعر الذي يتناول تجربة فردية محلا للنظر في إستراتيجيات الإقناع أو الاقتناع المضمنة فيه، وهذا يؤدي بدوره إلى الكشف عن الاتجاه الفكري أو النفسي الذي تفرزه هذه الاتجاهات.

بالإضافة إلى أن هذا البحث يسعى للكشف عن إمكانات اللغة الحجاجية، وما تفصح عنه من تفسيرات مرتبطة بشخصية المتكلم. ويتم الكشف عنها من خلال نص تراثي يعود لشخصية ثائرة، وهذا ما سيسهم في تحقيق قراءة حجاجية صادقة لهذا النص.

2.1. أهداف البحث:

يهدف هذا البحث لبيان الاتصال الوثيق بين الشعر والحجاج؛ نقضًا لمن يرى الانفصال بينهما؛ لأن الشعر تجربة وجدانية فردية، والتجربة الفردية لا تنال قبول المستمع الكوني عادة؛ ولذا فهي تنال حظًا وافرًا من أهمية الدفاع عنها، والحجاج لشرعيتها، بالإضافة إلى أن الشعر مفعم بعنصر (التأثير) الذي يرومه الحجاج، ويقوم عليه.

كما تهدف هذا الدراسة لإلقاء نظرة على تيمة الحجاج في شعر الصعاليك من خلال أحد شعرائه، وقد كان مبدأ (المعارضة) الذي يقوم عليه

الحجاج ديدنهم في الحياة، فقد ثاروا على بعض القيم الجاهلية التي رأوا بعدها عن الحق، كما أنهم لم ينالوا حظًا من القبول في مجتمعاتهم، فكانوا مضطرين إلى استخدام وسائل متعددة لشرح موقفهم من الحياة، بما فيها: الحجاج.

ولعروة بن الورد خاصية أخرى تجعله محلا للدراسة؛ بالإضافة إلى أنه (أمير الصعاليك) وأولهم، كان منبوذا بشكل خاص في مجتمعه؛ لأنه أمه غريبة، فأحدث ذلك في نفسه وقعًا خاصًا جعله نصيرًا للمهمشين في المجتمع.

وتهدف الدراسة إلى الكشف عن الموجهات الحجاجية في شعر عروة بن الورد، وطريقة توظيفه لبعض الآليات الحجاجية، بما فيها: المرأة العاذلة. وتهدف أيضًا للكشف عن شكل الحجاج من خلال دراسة عناصر العملية الحجاجية الثلاثة في شعر عروة، وهي: أقوال الانطلاق، وأقوال الوصول، وأقوال العبور.

3.1. مشكلة البحث وتساؤلاته:

تحاول هذه الدراسة البحث في العلاقة بين حاجة الفاعل المحاجج للحجاج وبين حجم وجود الموجهات الحجاجية في شعره، وعن مدى ارتباط طريقة الحجاج بشخصية المتكلم وبظروفه حياته، وتقوم على افتراضين، يتعلق الأول منهما بكثافة الموجهات الحجاجية في شعر عروة؛ نظرًا لحاجته الماسّة للحجاج، ويتعلق الثاني: بتوظيف المرأة العاذلة في شعر عروة بن الورد بصفتها وسيلة حجاجية، يعرض من خلالها أفكاره، ويستخدم هذا الحوار ليحقق قبولا لشخصيته يمكن أن يفتح الباب لقبول قيمه وتوجهاته التي يؤسس لها.

وللتحقق من مدى صحة هذه الفرضية؛ يحاول هذا البحث الإجابة عن تساؤلات متعددة أبرزها:

- هل هناك تعارض بين الشعر والحجاج كما زعم بعض الباحثين؟
- هل كان عروة بن الورد يشرح تجربة في الحياة من خلال شعره أو أنه كان يحاجج عن وجوده؟
- لماذا كان شعر عروة بن الورد زاخرًا بالقيم؟ وهل لهذه القيم أثر في الحجاج؟
- هل كان للصعلكة أثر في طريقة حجاج عروة بن الورد؟
- هل استفاد عروة بن الورد من معطيات اللغة الحجاجية في تقوية توجيه حجاجه؟
- ما تيمة الحجاج التي طغت على شعر عروة بن الورد؟
- كيف وظف عروة بن الورد (المرأة العاذلة) في شعره؟ وهل استغلها في توجيه الحجاج؟

4.1. مصطلحات البحث:

الحجاج – الحجاج الجدلي – القيم – التوجيهات – الفاعل المحاجج– الفاعل الهدف – الصعلكة

–الحجاج: سيتم استخدام لفظة (الحجاج) في هذا البحث بوصفه نظرية لقراءة وتحليل النصوص، ويجب التفريق –حسب ديكرو– بين معنيين للحجاج، هما: المعنى العادي، والمعنى الفني الاصطلاحي. فالمعنى العادي: يعني طريقة عرض الحجج وتقديمها ويستهدف التأثير في السامع، فيكون

الخطاب بذلك ناجعاً فعالاً. أما المعنى الفني: فيدل على صنف مخصوص من العلاقات المُودعة في الخطاب والمدرجة في اللسان، ضمن المحتويات الدلالية (الحباشة، 2008، ص21).

-الحجاج الجدلي: وهو صنف مخصوص من الحجاج يقوم على مناقشة الآراء مناقشة نظرية محضة؛ لغاية التأثير العقلي المجرد، ويميل إلى التبكيت، وفرض الرأي (صولة، 2001، ص 18).

-القيم: وهي من مواد الاتفاق بين الفاعل المحاجج والجمهور التي ترجع إلى الأفضل، وهي تلك التي تسجل موقفًا إما مع ما ترفع من شأنه أو ضده، أو أنها تغُضَّ منه دون مقارنته بشيء آخر (بنو هاشم، 2014، ص 45).

- التوجيهات: وهي من الأفعال الكلامية التي "يسعى المتكلم أو الكاتب من خلالها إلى جعل السامع يفعل شيئًا ما أو يحجم عن شيء ما" (فرانز فان إيمرن، وروب غروتندورست، 2016، ص 84).

-الفاعل المحاجج: هو الذي يلتزم بإشكالية ما، وينشئ البرهنة عليها؛ لمحاولة تأسيس حقيقة ما (شارودو، 2009، ص13). ويطلق عليه أيضا: المتكلم، أو المُحاجج.

-الفاعل الهدف: هو الذي يُشكل هدف الحجاج، والذي يحاول الفاعل المحاجج التأثير فيه ليُقاسمه الحقيقة التي أسس لها (شارودو، 2009، ص13). ويطلق عليه أيضا: المتلقي، أو الجمهور.

-الصعلكة: هي ظاهرة اجتماعية وفنية، نشأت في العصر الجاهلي، ونتجت عن أسباب مختلفة، وتعبر في مجملها عن احتجاج فئة معينة من الناس على طبيعية الحياة الجاهلية (العنزي، 2015، ص 62).

5.1. منهجية البحث:

يدرس هذا البحث الخطاب الحجاجي في شعر عروة بن الورد وفق معطيات المنهج الوصفي التحليلي؛ حيث إن الخطابات الحجاجية تستلزم الوصف والتحليل بما فيها من: جهاز حجاجي، وتقنيات لغوية حجاجية.

وقد تم الكشف عن تلك المعطيات في إطار محدد يتخذ من (النظرية الحجاجية اللغوية) لديكرو وأنسكومبر مرجعًا له، مع الاستفادة من معطيات النظريات الحجاجية المختلفة، مثل: نظرية الحجاج البلاغي لشاييم بيرلمان وتيتيكاه، وبعض المنطلقات التأسيسية للتمييز بين الحجاج بوصفه نظرية، وبوصفه أسلوبا قائما في الخطابات والتي أسس لها باتريك شارودو.

6.1. مدونة البحث:

يعنى هذا البحث بفحص الخطابات الحجاجية في ديوان عروة بن الورد العبسي، وهو أحد شعراء الجاهلية، ولقب بأمير الصعاليك، ولد حوالي 30 ق.هـ، وتوفي في 594م (الزركلي، 1927، ص227). وقد شرح ديوانه يعقوب بن إسحاق السكيت (ت: 244هـ).

7.1. الدراسات السابقة:

أما الدراسات السابقة فسأقتصر فيها على البحوث التي قاربت نصا شعريا مقاربة حجاجية، وهي كالتالي:

- دراسة مكلي شامة، الحجاج في شعر النقائض دراسة تداولية، رسالة ماجستير، الجزائر: جامعة مولود معمري تيزي وزو، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الأدب العربي، 2009.

اعتمدت الباحثة في هذه الدراسة على نقيضتين إحداهما لجرير والأخرى للفرزدق، منطلقة منهما للبحث عن القوانين التداولية التي تحكم النقائض في العصر الأموي، باعتبارها نصوصًا فنية من جهة، وباعتبارها مناظرات شعرية من جهة أخرى، وقد استعانت بمنهج تحليل الخطاب؛ باعتبار النقائض تفاعلًا خطابيًا.

- دراسة صلوح مصلح الحربي، الخطاب الحجاجي في شعر عنترة بن شداد العبسي: دراسة وصفية تحليلية، بحث منشور، مركز البحوث والدراسات التاريخية، جامعة القاهرة، 2011.

وقد درس الباحث الخطاب الحجاجي في شعر عنترة بن شداد العبسي مركزًا على أنواع البنى الحجاجية، وعلاقتها بغاية المتكلم، ودرس أيضًا العلاقات الحجاجية وأنواعها، ومدى ارتباطها بغايات المتكلم. وقد اعتمد في ذلك على تصنيف بيرلمان وتيتيكاه في كتابهما الخطابة الجديدة، وخرج إلى وجود علاقة بين الفوارق الواقعة في الحجج المختلفة في شعر عنترة، وكذلك العلاقات التي تربطها؛ نظرًا لاختلاف غايات المتكلم.

– دارسة هيثم سرحان، الخطاب الحجاجي في شعر بشار بن برد: مقاربة في تحولات الهوية الثقافية، بحث منشور، جامعة أم القرى، 2013.

وقد اتخذ الباحث في هذا البحث معطيات النظريات الحجاجية منفذا للكشف عن هوية الشاعر المضطربة، ووصل إلى شعوره بالاغتراب النفسي نتيجة التحديات التي واجهها، والتي ظهرت بشكل بين في شعره، حتى وصل إلى درجة عالية من الخصومة مع الهوية العربية.

– دارسة محمد شاكر الربيعي، ونورة محمد عباس، معطيات الوقائع الحجاجية عند الشعراء السود، بحث منشور، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، 2016.

وقد ركزت هذه الدراسة على أحد أقوال العملية الحجاجية، وهي أقوال الانطلاق، وما تضمنتها من معطيات، مثل: الوقائع، والحقائق، والافتراضات، والقيم. وقد توصل الباحثان إلى أن الشعراء السود قد توصلوا بوسائل مأخوذة من الواقع للدفاع عن أنفسهم، وذلك بسبب العقدة التي عانوها من لونهم.

– دارسة علية بيبية، الحجاج في شعر الصعاليك بين التواصل واللا تواصل، بحث منشور، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة تبسة، الجزائر، 2016.

وقد ركزت الباحثة في هذه الدراسة على الآليات المنطقية واللغوية لدراسة مفهومي (التواصل)، و(اللا تواصل)، فخرجت إلى أن الآليات المستخدمة

في شعر الصعاليك قد تكون مؤشرا على تواصل الشاعر الصعلوك مع ذاته، أو انقطاعه عن مجتمعه الذي عانى منه.

التعليق على الدراسات السابقة:

أفدت من مجمل هذه الدراسات، وقد اختلف بحثي عنها في الآتي:

- المدونة اللغوية؛ حيث لم أجد دراسة تتجه للكشف عن معطيات الخطاب الحجاجي في ديوان عروة بن الورد.
- الإطار النظري؛ حيث سأعتمد في التحليل على نظرية الحجاج اللغوي لديكرو وأنسكومبر، وعلى نظرية الحجاج البلاغي لبيرلمان وتيتيكاه بناء على ما يقتضيه البحث، وعلى بعض المنطلقات الحجاجية النظرية عند باتريك شارودو، حيث يفيد الجمع بين عدة اتجاهات نظرية في تحقيق أهداف البحث، كما أن الاقتصار على نظرية واحدة حسب ما أظن قد يؤدي إلى قصور الدراسة.
- الغايات البحثية؛ حيث اتجهت هذه الدراسات إلى استخدام الحجاج للكشف عن بعض المفاهيم، مثل: التواصل، والهوية المضطربة. وحتى الدراسات التي اعتمدت على الآليات اللغوية، كانت تعدها معبرا للكشف عن مفهوم محدد، أما دراستي فقد حررتها وصفية تحليلية تعنى بالخطاب الحجاجي اللغوي في المقام الأول، وتحاول رصد عناصر العملية الحجاجية في شعر عروة؛ وصولا إلى تحديد الآليات اللغوية المستخدمة، ومدى ارتباطها بشخصية عروة بن الورد.

2. الإطار النظري:

1.2. نظرية الحجاج:

تدور لفظة الحجاج في اللغة حول ثلاث دلالات، هي: القصد، والنزاع، والدليل، جاء في لسان العرب: "حاججته أحاجه حجاجًا ومحاجة حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها... وهو رجل مِحْجاجٌ أَي جَدِلٌ. والتَّحاجُّ: التَّخاصُم؛ وجمع الحُجَّةِ: حُجَجٌ وحِجاجٌ. وحاجَّه مُحاجَّةً وحِجاجًا: نازعه الحُجَّةَ. وحَجَّه يَحُجُّه حَجّا: غلبه على حُجَّتِه"، وجاء فيه: "والمَحَجَّةُ: الطريق؛ وقيل: جادَّةُ الطريق؛ وقيل: مَحَجَّة الطريق سَنَنُه" وجاء أيضًا: "والتَّحاجُّ: التَّخاصُم؛ وجمع الحُجَّةِ: حُجَجٌ وحِجاجٌ. وحاجَّه مُحاجَّةً وحِجاجًا: نازعه الحُجَّةَ.... والحُجَّةُ: الدليل والبرهان"(ابن منظور، ج2، ص228)، وجاء في التعريفات: "الحجة ما دل به على صحة الدعوى، وقيل الحجة والدليل واحد"(الجرجاني، ص86).

وكل هذه الدلالات تشير إلى علاقة تبادلية مع الآخر تهدف التأثير فيه، وهذا ما تقوم عليه نظرية الحجاج التي تقوم في مجملها على دراسة طرق التأثير في الآخر، وبسبب تعدد مسالك هذا التأثير، فهو يتأتى من بنية اللغة حينا، ومن خارجها حينا آخر؛ اختلف نظريات الحجاج، وتعددت اتجاهاته.

تولدت نظرية الحجاج الجديدة بداية بسبب تلك الرؤية التي تبدت للمنظرين في البلاغة الذين أدركوا أن البلاغة تحولت إلى علم تقعيدي؛ فبدأت الإرهاصات الأولى لظهور نظرية الحجاج من خلال (الأسلوبية) التي أسّس لها بعض تلامذة دو سوسير De Saussure، لكنها لم تحقق طموحات البلاغيين الذين أرادوا نظرية تتعدى جانب العبارة (صمود، 1998، ص 31-33).

ثم ظهرت بعد ذلك (الخطابة الجديدة)، لشاييم بيرلمان .ch Perelman، وألبركت تيتيكاه l. olbrechts-tyteca ، والتي يمكن عدها العتبة الأولى لظهور نظرية في الحجاج، وهي تتباين مع الخطابة؛ لأنها لا تعنى إلا ببعض المظاهر المساعدة من لغة الخطاب، وتعنى بشكل أخص بالأساليب، والطرق المعتمدة في إقناع السامع من وجهة نظر منطقية (صمود، 1998، ص13-16).

وعندما يتعلق الأمر بالحجاج بوصفه نظرية: لابد من التمييز بين اتجاهين أساسيين –على الأقل- يوجهان هذه النظرية، الأول: الحجاج البلاغي الذي أسس له بيرلمان وتيتيكاه في كتابهما (الخطابة الجديدة)، والثاني: الحجاج اللغوي الذي تبناه ديكرو o. Ducrot وأنسكومبر-Anscombre, jean claude، من خلال كتابهما المعنون بـ(الحجاج داخل اللغة).

يعنى الحجاج البلاغي بـ "مجموع تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تبعث على إذعان المتلقين للقضايا التي تعرضها عليهم، أو أن تزيد في درجات هذا الإذعان" (صولة، 2011، ص 143-144)، وقد فرضت الأصول الأرسطية التي ينتمي لها هذا النوع من الحجاج تعلقه بكل الوسائل المنطقية التي يمكن أن يُنظر لها داخل الخطاب اللغوي لتحقيق الإقناع.

ثم أخذت نظرية الحجاج بعد ذلك منحى آخر، حيث انطلق ديكرو وزميله أنسكومبر من نظرية بيرلمان ليؤسسا لاتجاه آخر في النظرية يتعلق بتوظيف الحجاج بوصفه عنصرًا دلاليًا متجذرًا في بنية اللغة.

والفصل بين هذين الاتجاهين فصل في المسمى، والمنطلقات؛ إذ لا يمكن للباحث في اللسانيات الحجاجية أن يتجاهل تقنيات الحجاج التي أسس لها بيرلمان، ولا يمكن أيضا للباحث في الحجاج البلاغي أن يغضَّ الطرف في تحليله عن الإنجازات التي توصل لها الحجاج اللغوي.

ينضاف إلى ذلك: الانتساب بين هذين الاتجاهين؛ فالحجاجيات اللسانية تتحدر من أصلين: أحدهما: ينتمي إلى حقل التداولية في اللسانيات، والآخر: تمثله أعمال الخطابة الجديدة مع بيرلمان وتيتيكاه (الراضي، 2014، ص9).

وعن العلاقة بينهما: ينقل الراضي عن كريستيان بلانتان وجود حالة من التجاهل بين هذين التوجهين، ويظهر ذلك التجاهل في غياب، أو ندرة إحالتهما إلى بعضهما، وربما كان السبب في ذلك –بحسب كريستيان– السياقات المختلفة التي نما فيها كل توجه، أي السياق اللساني المحصور للحجاجيات اللسانية المرتبط بالتداولية المدمجة، والسياق الفلسفي في أعمال بيرلمان وتيتيكاه (الراضي،2012، ص229).

وعلى الرغم من هذا الانتساب إلا أن الحجاجيات اللسانية لم تكن على قدر من الإخلاص للتوجهات التي جاءت منها؛ فقد جاوزت التداولية من خلال محاولة إدماج الوقائع التداولية في قلب الدرس الدلالي–في سياق ما عرف بالتداولية المدمجة La pragmatique intégrée – بعد أن كانت تلك المعطيات خارج الدرس اللساني الصوري. وجاوزت أبحاث بيرلمان وتيتيكاه من

خلال تأكيد وجود شيء من التداخل بين الوقائع من جهة، والذوات المتفاعلة حجاجيًا من جهة أخرى (الراضي، 2014، ص 9-11).

وتقوم نظرية الحجاج اللغوي على رؤية فريدة تتعلق بوظيفة اللغة؛ حيث إن الوظيفة الحجاجية هي الوظيفة الأولى للغة، وتحملها اللغة بصفة ذاتية، وجوهرية، ومؤشر لها في بنية اللغة، وفي بنية الجمل، والأقوال نفسها، وهي موجودة في الظواهر الصوتية، والصرفية، والمعجمية، والتركيبية، والدلالية، والتداولية (العزاوي، 2010، ص11). ووفقا لهذه الرؤية: فإن كل الخطابات اللغوية هي خطابات حجاجية.

وقد أعاد باتريك شارودو صياغة هذه الرؤية بشكل أكثر مرونة، ويتناسب وطبيعة اللغة، وقرر أن: "كل قول يمكن أن يكون حجاجيًا من اللحظة التي يندرج فيها ضمن جهاز حجاجي" (2009، ص53). وهذه الصياغة تسمح بالنظر إلى الخطابات بشكل منفرد، دون إسقاط الحجاج عليها، وتسمح أيضا بتحليلها وفق مقتضيات التحليل الحجاجي.

2.2. التحليل الحجاجي:

لقد تعددت مناهج قراءة وتحليل النصوص، و"البلاغة سواء أكانت حجاجية أم أدبية هي أقدم معرفة بتقنيات بناء النص نملكها بين أيدينا اليوم" (مشبال، 2017، ص39).

يمكن إيجاز التحول الذي حدث في البلاغة في أنها انتقلت –وهي البلاغة المعاصرة التي انبثقت منذ النصف الثاني من القرن العشرين– من الرغبة في إنتاج الخطاب إلى دراسة خصوصياته، أي أنها قد تخلت عن نزعتها

المعيارية المتمثلة في فرض القواعد؛ لتهتم برصد الوقائع فقط، فتحولت من لغة موضوع إلى لغة واصفة (محمد ولد سالم الأمين،2004، ص9).

ويمكن الانطلاق من الحجاج بوصفه منهجًا لقراءة وتحليل النصوص؛ كونه الوجه الجديد للبلاغة، والذي يعنى باللغة الواصفة للخطابات، ويقع في كل الخطابات اللغوية، وغير اللغوية بحسب ديكرو، أو بعبارة أخرى: يمكن تطويع أدوات هذا المنهج لقراءة مختلف الخطابات.

يمكن القول بداية: إن كل علاقة حجاجية تتكون على الأقل من ثلاثة عناصر: قول الانطلاق، وقول الوصول، وقول أو أقوال العُبور (شارودو، 2009، ص21-23). وهذه العناصر الثلاثة تبين جليا نوع الحجاج المستخدم في الخطاب، سواء أكان حجاجًا جدليًا أم حجاجًا خطابيًا.

ويعتمد الحجاج الخطابي l'argumentation rhétorique على بعض المقومات أهمها: توجهه إلى جمهور معين في أوضاع خاصة، ومقامات خاصة. والحجاج هنا ليس لغاية التأثير العقلي؛ وإنما يتعداه إلى التأثير العاطفي، وإلى إثارة المشاعر والانفعالات. أما الحجاج الجدلي l'argumentation dialectique فيرتكز على مناقشة الآراء مناقشة نظرية محضة؛ لغاية التأثير العقلي المجرد، ويميل إلى التبكيت، وفرض الرأي (عبد الله صولة، 2001، ص 18). وقد تتحكم في اتخاذ الخطاب لأحد هذين النوعين بعض المحاور من خارج الخطاب، مثل: الثقافة، والدين.

ووفقًا لمتطلبات التحليل، فإن أهم ما ينبغي للمحلل الحجاجي النظر فيه، هو: مكونات العملية الحجاجية الثلاثة، والنظر أيضًا في تلك العلاقة التي

تسود الخطاب، والقائمة بين مُنتج الخطاب: الفاعل المحاجج، ومتلقيه: الفاعل الهدف. ومن الأمور التي تساعد المحلل على تكوين رؤية شاملة للنص هي: النظر في الوسائل اللغوية المستخدمة في الحجاج، والتي تشكل جزءًا كبيرا من مشمولات العملية الحجاجية، والتي ترسم خارطة ذهنية لشكل الحجاج المستخدم فيه.

ويرى مشبال أن المحلل الحجاجي الذي يقارب نصًا – وفق مجريات التحليل البلاغي لآرون كبيدي فارغا– لا يتملك أدوات تسعفه من القبض على النص في كليته، لكن أدواته تمكنه من تحليل أجزاء من هذا النص، من قبيل: الحوارات، ووصف الشخصيات، والمواضع المشتركة وغيرها (مشبال، 2017، ص 40).

وعلى الرغم من أهمية تحليل هذه الأجزاء، إلا أنني لا أتفق معه في تجاهل التحليل الحجاجي لكلية النص؛ لأننا في كثير من الأحيان نتمكن من النظر للنص باعتبار وحدة كاملة من خلال النتيجة العامة التي تؤسس له –إن وُجدت– حسب مقتضيات ذلك الخطاب.

وأخيرا إن تكامل المكونات التحليلية الثلاثة في التحليل الحجاجي هام جدا؛ لأن الحجاج بوصفه ممارسة، له ثلاث منابت كبرى هي: المكون السياقي/الثقافي، والمكون المنطقي، والمكون اللغوي. وعلاقات التأثير بين هذه المكونات الثلاث تسري سرياناً طبيعياً ولازماً (الشهري، 2013، ص217). فالمقاربة الحجاجية التي تروم تحليل النصوص اللغوية لابد أن تنظر في هذه المنابت معًا؛ لما بينها من الاتصال، والتداخل.

3.2. الحجاج والشعر:

نشأت نظرة عند الباحثين في الحجاج متأتية من طبيعية الحجاج تتعلق بالتعارض بين الحجاج والشعر؛ وذلك لأن الحجاج يقوم على المعرفة المبتذلة الشائعة بينما يقوم الشعر على الرؤية الفردية (العزاوي، 2010، ص36). ومنشأ هذه النظرة هو المفاضلات التي أجراها القدامى بين الشعر والنثر؛ حيث أفصحت مفاهيمهم لها عن حد فاصل بينهما، وأهم حاجز أقامه القدامى بين الشعر والنثر هو حاجز العقل والوجدان؛ حيث ارتبط الأول بالخطابة، وارتبط الآخر بالشعر، وتعود هذه النظرة عندهم إلى رؤيتهم للحجاج الذي يماهي الجدل، فهو بالنسبة لهم: طريقة استدلال صارمة مجالها المناظرات والعلوم النظرية (الدريدي، 2007، ص49، 54).

وقد ناقض العزاوي هذا الرأي؛ فهو يرى أن أي نص أدبي لا يتعلق بنقل التجربة الفردية فحسب، بل يتملك وظيفة توجيهية إقناعية إلى جانب الوظيفة الأدبية؛ فهو يهدف للحث والتحريض، ويسعى إلى تغيير أفكار المتلقي (العزاوي، 2010، ص37).

ويؤمن العزاوي بفكرة وجود شعر حجاجي ، وشعر آخر غير حجاجي، والثاني: هو الذي يُظهر فيه الشاعر البراعة في استعمال اللغة، ولا يتعلق بالتأثير في أفكار المخاطب (العزاوي، 2010، ص38). ولكن الجانب اللغوي للحجاج يلغي هذا الرأي؛ لأن الشعر نص لغوي، ونظرية الحجاج في اللغة تُسلم بأنّ الحجاج كائن في كل خطاب لغوي، ولا يتعلق الأمر هنا بقوة الحجاج، بل بوجوده، فالشعر في أدنى مستوياته يحمل طابعًا حجاجيًا؛ لأنه "كلام مقفى

موزون على سبيل القصد والقيد". (الجرجاني، ت816هـ، ص133). وهذه القصدية هي التي تؤسس للحجاج في أي نص لغوي.

وبسبب الصلة الوثيقة بين الحجاج والبلاغة؛ كون الحجاج يمثل البلاغة الجديدة، ولما كانت البلاغة تعنى بالخطاب الإنساني الاحتمالي –أي كل الخطابات الإنسانية ما عدا البرهاني منها–، يمكن تقسيم الخطاب الاحتمالي إلى مكونين أساسيين: الخطاب الشعري التخييلي، والخطاب التداولي الحجاجي. وعليه تتفرع البلاغة الجديدة بهذا المفهوم إلى شقين: الشعرية والخطابة. (بنو هاشم، 2014، ص13). وهذا التقسيم لا يُقصي المكون الإقناعي من الشعر، إنما يعتمد في رأيي على أمرين: الأول هو: المكون الأساسي في كل منهما؛ فقد يشتمل الخطاب الشعري على "عناصر إقناعية، كما قد يشتمل الخطاب الإقناعي على عناصر تخييلية، لكن المكون الجوهري للأول هو التخييل، والمكون الجوهري للثاني هو الإقناع" (بنو هاشم، 2014، ص11). والثاني هو: مدى قوة الحجاج في النصوص؛ لأن طبيعة الحجاج ودرجته تتباين من نص لآخر، ولا يرتبط ذلك بالجنس الأدبي للنص اللغوي بقدر ما يرتبط بحاجة مُنتِج النص إلى حشد الموجهات الحجاجية في نصه، وقدرته على استغلال المنطق في توجيه خطابه.

بالإضافة إلى أن الفعل الشعري والذي يتعلق بتمثيل الأفعال الإنسانية، أو محاكاتها، أو خلق الحبكات السردية؛ لإثارة عاطفتي الخوف والشفقة لدى الجمهور (مشبال، 2017، ص 25)، لا يلغي أبدًا القيمة الحجاجية في النصوص الشعرية؛ بل على العكس، فقد يتحصن الشاعر بموقف حجاجي حاد؛

لخلق التأثير المطلوب، لأنه ينطلق من قناعاته الشخصية، ولا يُعنى بمراعاة الأفكار المقبولة من قبل المتلقي كما في النصوص النثرية.

3. المبحث الأول: الجهاز الحجاجي في شعر عروة بن الورد:

يمكن النظر إلى الجهاز الحجاجي في أي علاقة حجاجية من ثلاث اتجاهات تمثل في مجملها أقوال الحجاج، وهي –حسب باتريك شارودو–: قول الانطلاق، وقول العبور، وقول الوصول(ص21–23). وتتمثل أهمية هذه الأقوال في أنها تكسب النص هويته الحجاجية، من خلال بيان نوع الحجاج الطاغي عليه، كما أن فهم العلاقات بين هذه الأقوال داخل النص يمكن أن يكون مؤشرا لمدى قدرة المتكلم على تطويع اللغة، والاستفادة من إمكاناتها الحجاجية.

1.3. أقوال الانطلاق:

وهو: ملفوظ يحث على قبول قول آخر يقوم مقام المبرر لذلك المعطى، ويُسمى بالمقدمة المنطقية (شارودو، 2009، ص 21–22). ولهذا القول ميزة خاصة في العملية الحجاجية؛ فبيرلمان يعتقد أن القاعدة العامة والمبدأ الأساس في التأثير بالفاعل الهدف، هو تكيفه مع الفاعل المُحَاجِج، وأن ذلك لا يتم إلا من خلال الانطلاق من مقدمات Prémisses مقبولة ومسلم بها من قبل الفاعل الهدف (بنوهاشم، 2014، ص 42).

ولما للمقدمة من أهمية بالغة في تكوين الخطاب الحجاجي؛ رأيت أن أنظر في الهيكليات الشكلية التي اطردت في ديوان عروة، وبنى من خلالها أقوال

انطلاقه، والتي كانت تعتمد –بشكل أساسي– على جنس خاص من الأفعال الكلامية، وجنس خاص من مواد الأفضل، وقد جاءت كالتالي:

- يلجأ عروة كثيرا في مقدمات حجاجه إلى جنس خاص من الأفعال الكلامية هي: التوجيهات Directives، ولهذه الأفعال خصوصية بالغة في الحجاج؛ لأنها إما أن تستحث المخاطب على الخوض في الحجاج بشكل يساعد على تنامي الخطاب الحجاجي، وإما أن تؤسس لغلبة الفاعل المحاجج منذ بداية الحجاج، بشكل يساعد في تأصيل حججه التي سيطرحها بعد ذلك.

ويمكن النظر في هذا الإطار إلى قول عروة (من الطويل)، (ديوانه، ص45):

أيا راكِباً! إمّا عرَضتَ، فبلّغَنْ	بني ناشب عني ومن يتنشبُ
أكلكم مُختار دَار يَحلها	وتَاركُ هُدْمٍ ليسَ عَنها مُذنَّبُ
وأبلغْ بني عوذ بن زيد رسالةً	بآيةِ ما إن يَقصِبونيَ يكذِبوا

فالأمر هنا موجه يطلب فيه تبليغ الرسالة، فقد "أراد أن يضع رسالة ظاهرها أنها أودعت متحملا، علما بأن الرسالة بنفسها إذا ضمنت شعرا وعقدت به، ستبلغ على أفواه الرواة" (ابن السكيت، 244هـ، ص 183)، ولا يكتفي بتوجيه الأمر، بل يعاود تكراره (وأبلغ)؛ ليوحي للمتكلم بأهمية الرسالة التي يطلب تبليغها، ومن ثم يمهد لقبولها.

- **يتخذ عروة أيضًا من القيم les valeurs مصدرًا يستمد منها أقوال انطلاقه، والقيم إذا ما اتفق حولها الفاعل المحاجج والفاعل الهدف كانت عنصرًا فعالًا في الحجاج؛ لأن الفاعل المحاجج عندما يبدأ بمسلمة يؤمن بها المتلقي، فإنه سيشرعن لحجاجه التالي قبولا بعد ذلك، ويمكن التمثيل لاستخدام عروة للقيم بقوله (من الكامل)، (ديوانه، ص57):**

ما بالثّراءِ يسُودُ كلُّ مُسوَّدٍ	مثرٍ ولكن بالفعالِ يسودُ
بل لا أُكاثِرُ صاحبي في يُسرهِ	وأصُدُّ إذ في عيشِهِ تَصْريد
فإذا غنيتُ، فأن جِاري نيلُهُ	من نائِلي وميسري معهودُ
وإذا افتقرْتُ، فلن أُرَى متخشَّعاً	لأخي غِنى مَعْروفه مكدودُ

فبدأ قصيدته بقيمة تقول: (لا يسود الناس بسبب أموالهم، إنما يسودون بأفعالهم)، وهي نتيجة ذات وجهين، ثم بدأ يسرد بعضهم السمات الشخصية فيه، فهو: لا يباهي بكثرة أمواله إذا اغتنى، وإنما يشركها أصحابه، وجيرانه، ولا يُعرض عن صاحبه إذا قلّ ماله، وإذا افتقر فإنه لا يطلب المال، ليخلص من هذه الفضائل (أو الحجج) كلها إلى أن أفعاله حميدة؛ فهو بالتالي يستحق السيادة.

وبالرغم من صعلكة عروة، وتمرده على بعض قيم مجتمعه التي لا يراها عادلة، إلا أنه في بعض القصائد يضطر لأن يعود إلى تلك القيم التي لا

يرتضيها؛ كونها تحظى بقبول مجتمعه، ليخرج منها إلى قبول النتائج التي تترتب عليها، مثل قوله (من الطويل)، (ديوانه، ص56):

ما بِي مِنْ عارٍ إخالُ علمتُ	سِوى أنّ أخْوالي نُسِبُوا، نَهْدُ
إذا ما أردتُ المجدَ قصّر مجدُهم	فأعيا علي أن يُقاربني المجدُ
فيا ليتهم لم يَضْربوا في ضربة	وأنيَ عبْدٌ فيهمُ، وأبي عبدُ

فهو يقر بداية بالعار الذي يتأتى من نسب أخواله، ويذمهم، ويتكلم في هذه المقطوعة عنهم بضمير الغائب؛ ليقطع عن نفسه أي اتصال بهم، وما هذه النظرة النسقية التي اكتسبها إلا قيمة من قيم مجتمعه الجاهلي الذي يرى في الانتماء للقبيلة كل المجد، ويرى الغريب منبوذًا.

وليس الهجاء هنا هو المقصود من سياقة الكلام –في ظني–، بل المقصود فيها مدح نفسه من خلال قطع أي صلة بينه وبين أفعالهم الدنيئة من وجهة نظر قبيلته، ومقصود آخر يتعلق بتقوية انتمائه لقبيلته التي تزدريه بسبب نسب أمه؛ فهو يبين أنه واعٍ بهذه الفعال الدنيئة، وأنه مُريد للمجد، بدليل أنه في مقطوعة أخرى يقول (من الطويل)، (ديوانه، ص85):

أعيرتموني أنّ أُمّي تريعةٌ	وهل يُنجبْنَ في القومِ غير الترائعِ
وما طالبُ الأوتارِ إلا ابنَ حرةٍ	طويلُ نجاد السيّفِ، عاري الأشاجعِ

فهو لا يرى مشكلًا أو عارًا في نسب أمه الغريب، ويمدحها هي ومثيلاتها بإنجاب الفرسان الشجعان، وفي ذات الوقت يرى أن هناك مشكلا في قيمة مجتمعه التي تؤسس لنبذ الغريب، وهذا يُثبت أن التوجيه في الأبيات السابقة كان من منظور البدء بمقدمات مقبولة عند الفاعل الهدف.

لقد بُني شعر عروة في غالبه على المقطوعات التي تؤسس لقضية ما على بشكل واعٍ؛ فهو –غالبًا– يُقدم للحجاج بمقدمات يمكن أن تفضي إلى قبول المتلقي، وتسليمه.

2.3. أقوال الوصول:

وتمثل ما ينبغي أن يُقبل كونه ناتجًا عن قول الانطلاق، وعن الرابط السببي الذي يصله به، ويمكن أن تسمى: خلاصة العلاقة الحجاجية أو النتيجة (شارودو، 2009، ص 22).

والمتأمل في شعر عروة يجد أنه يعرض لنتائجه –في كثير من القصائد– في شكل نتائج متضادة، مضمنا إياها الحجج التي تبررها، وهو ما يشكل (حجاجًا صريحا)، وهذا النوع من الحجاج يقوم على فكرة أن "بنية النص تتوزعها أطروحتان متصادمتان" (مصطفى الغرافي، 2015، ص 217). من قبيل قول عروة (من الطويل)، (ديوانه، ص 45):

فإن شِئتمُ عني نَهيتُم سَفيهكم وقالَ له ذو حلمِكم: أين تذهبُ؟

وإن شئتمُ حاربتُموني إلى مَدًى فيَجهَدُكم شأوُ الكِظاظِ المغرّبُ

فيلحقْ بالخيراتِ مَن كان أهْلَها وتعلم عبسٌ رأسُ من يتصوبُ

فالأطروحة الأولى تقوم على نتيجة تتعلق بإحلال السلام؛ وذلك عندما يكف بنو ناشب عن عروة سفيههم. والأطروحة الثانية تقوم على نتيجة تتعلق بقيام الحرب؛ وذلك عندما لا يستجيبون لطلب عروة.

وقد قدم الأطروحة الأولى تنبيهًا لهم من نتيجة الأطروحة الثانية، التي تقودهم إلى: الخسارة، والفضيحة. والنتيجة التي يؤسس لها النص كاملا، والتي تترتب على هاتين الأطروحتين هي: شجاعة عروة بن الورد.

وقيمة هذا النوع من الحجاج تتمثل في أنه: "إذا أدت حُجَج متغايرة إلى النتيجة ذاتها، سواءٌ أكانت هذه النتيجة عامة أم خاصة، نهائية أم مؤقتة، فإن القيمة الممنوحة لكل حجة على حدة ترتفع قيمتها بشكل غير قابل للنقاش" (بنو هاشم، 2014، ص 105).

وليست النتائج في شعر عروة صريحة وظاهرة دائما، بل قد تكون ضمنية، تُفهم من سياق الحجج، والمقدمات. مثل قول عروة (من الطويل)، (ديوانه، ص61):

إنّي امرؤ عافى إنائِي شركةٌ	وأنتَ امرؤ عافى إنائِكَ واحدُ
أتَهْزأُ مني أن سمنتَ وأن تَرَى	بوجهي شحوبَ الحقِّ، والحقُّ جاهدُ
أُقسّمُ جسْمِي في جُسومٍ كثيرةٍ	وأحسُو قِراح الماءِ، والماءُ باردُ

فيستهل عروة مقطوعته بتقديم الحجة، وهي اعتياد الإناء الخاص به الشراكة، واعتياد إناء الخصم الانفراد، وهذه الحجة تمثل تصويرًا استعاريًا مثّل فيه الشاعر الإناء بصورة الإنسان الذي يتعاد، ولهذا أهمية بالغة في الحجاج؛ إذ إن القول الاستعاري المقدم بصفته دليلًا من العناصر التي تعضد قوة الحجاج، و"هذه الخاصية للقول الاستعاري هي التي تجعله فوق الإبطال" (العزاوي، ص 106).

ثم يعرض بقية الحجج، وهي:

- شحوب وجهه، وهزال جسمه في مقابل سمنة الخصم الموجه له الحجاج، ويصل بها نتيجة أخرى هي: أن الحق مُجهد.
- اكتفائه من شرب الماء بالحسو، والبارد.

كل هذه الحجج تؤدي لنتيجة ضمنية يفصح عنها النص كاملًا، هي: كرم نفس عروة، وبخل صاحبه؛ فلأجل ذلك الكرم اعتاد إناءه الشركة، ولأجله شحب جسمه، لأنه يُقدم ما عنده، ويؤثر على نفسه حتى لو لم يبقَ له من الماء إلا البارد، والقليل.

3.3. أقوال العبور:

وهو ذاك القول الذي يُبرر الصلة السببية بين قول الانطلاق وقول الوصول، ويمثل كونا من الاعتقاد حول الطريقة التي تتحدد بها الأفعال فيما بينها على مستوى التجربة أو معرفة العالم. ويسمى دليلا، أو حجة، أو اقتضاء حسب إطار الإشكالية التي يندرج ضمنها (شارودو، 2009، ص22 – 23).

ولهذا القول أهمية بالغة في الخطاب الحجاجي؛ كونه يمثل جسرا يصل به المتلقي إلى النتيجة، فهو الباب الذي يلج منه الفاعل المحاجج إلى التأثير في ذهن الفاعل الهدف.

وفي أقوال العبور يوظف عروة الحجاج المعقد بأنواعه؛ حيث يعمد إلى الحجاج المتعدد، أو العطفي، أو لهما معا، وفي هذا النوع من الحجاج يأخذ الفاعل المحاجج في الاعتبار كل ما يمكن أن يُتوقع من تشكيك، أو من نقد (فرانز فان إيمرن، وروب غروتندورست، 2016، ص14-15)، فليلجأ عروة لحشد مجموعة من الحجج التي تروم نتيجة واحدة، كما في قوله (من الطويل)، (ديوانه، ص77):

إذا المرءُ لم يطلبْ معاشاً لنفْسِه	شَكَا الفقرَ، أو لامَ الصّديقَ، فأكْثر
وصارَ على الأدْنَينَ كَلاًّ، وأوشكتْ	صِلاتُ ذوي الْقربَى له أن تَنَكّرا
وما طالبُ الحاجاتِ من كلِ وجهةٍ	مِن الناسِ إلا مَنْ أجدَّ وشمّرا
فسِرْ فِي بِلادِ اللهِ والتمسْ الغِنى	تَعِشْ ذا يَسارٍ، أو تموتَ فتُعذَرا

ويمكن النظر هذه القضية التي يطرحها وفق مقتضيات التحليل الحجاجي كالآتي:

المقدمة (مضمرة): الإنسان يحتاج إلى المعيشة، والخروج للمعيشة فيه خطر.

النتيجة: سر واطلب رزقك.

الحجج:

1. **إذا لم تسر، وتطلب عيشك، فسوف تلاقي الفقر.**
2. **إذا لم تسر، وتطلب عيشك، فسوف تضطر للوم صديقك إذا لم يمد لك يد العون.**
3. **إذا لم تسر، وتطلب عيشك، فستكون ثقيلا، ولهذا سيتنكر لك أقاربك.**
4. **إذا لم تسر، وتطلب عيشك، فسوف تلاقي ذُل السؤال.**

فلما كان الخروج لطلب المعيشة خطرًا؛ اضطر عروة لأن يسرد عددا من الحجج التي يُقنع بها نفسه، وغيره للخروج، ويُلحظ أن تنامي الحجج هنا كان على طريقة الحجاج المتعدد؛ حيث إننا أمام "سلسلة متوازية من الأسباب التي تتساند" (فرانز فان إيمرن، وروب غروتندورست، 2016، ص14).

ويلحظ أيضا أن عروة يُدمج افتراضات متخيلة داخل الحجج، من قبيل الحجة الثانية التي افترض فيها عدم مد الصديق ليد العون، والثالثة التي افترض فيها تنكر الأقرباء، ويعود هذا لأمرين؛ الأول هو: دعم تنامي الخطاب الحجاجي، وعدم ترك أي فرصة للمعارض الافتراضي لكي يعترض، وهذا ما يحققه الحجاج المعقد، والثاني هو: سبب نفسي، وهو توقع عروة للخذلان؛ نظرًا لما عانه في حياته من تنكّر مجتمعه بسبب أمه الغريبة.

وأخيرا يمكن القول: إن مكونات العلاقة الحجاجية في شعر عروة تميل إلى فرض النتيجة على المتلقي، فالمقدمات تحمل اتجاهات توجيهية، وتميل إلى الفرض، والنتائج تُطرح في كثير من الأحيان في نمط يتناول أطروحتين

متضادتين؛ وهو ما يفرض على المتلقي نتيجة واحدة؛ حيث يوحي هذا النمط بإلمام المتكلم بالقضية التي يتكلم عنها. كما أن الحجج تطرح –غالبا–: متعددة، ومعاضدة على سبيل الحجاج المعقد.

وهذا النوع من الحجاج الذي يفرض النتيجة على المتلقي يندرج تحت مفهوم الحجاج الجدلي، الذي تُبنى نتائجه على سياسة تتعلق بتبني استراتيجيات يتمكن من خلالها المحاجج من إرغام المتلقي بما يريد (كمال الزماني، ص97). وليس الإرغام هنا تبكيتي، بمعنى أنه يستخدم استراتيجيات حجاجية مخادعة، بل يعني كثافة الموجهات الحجاجية التي لا يستطيع معها المتلقي إلا أن يستجيب.

4. المبحث الثاني: الموجهات الحجاجية في شعر عروة بن الورد:

1.4. النزعة الحجاجية في شعر عروة بن الورد:

إذا كانت مقتضيات الحجاج اللغوي تُسلم بوجود تيمة الإقناع في كل الخطابات اللغوية، فإن الانطلاق في هذا الموضوع لا يتعلق بوجود الحجاج أو عدم وجوده، بل يتعلق بمدى كثافة الموجهات الحجاجية فيه، أو بواعث وجود النزعة الحجاجية فيه.

أما الشاعر فهو: "عروة بن الورد بن زيد العبسي، من غطفان: من شعراء الجاهلية وفرسانها وأجوادها كان يلقب بعروة الصعاليك؛ لجمعه إياهم، وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم" (الزركلي، 1927، ص227).

والصعلكة في اللغة هي الفقر، جاء في لسان العرب: "الصعلوك في اللغة: الفقير الذي لا مال له، وزاد الأزهري: ولا اعتماد" (ابن منظور، ج10، ص455). ولا تتعلق الصعلكة بالتجرد من المال فقط، بل تعني: التجرد من

القيمة الاجتماعية، وهذا التجرد هو الذي دفع الشعراء الصعاليك إلى الثورة على هذا المفهوم تحقيقًا لذواتهم؛ لأن النظام القبلي لم يحقق لهم التوازن الاجتماعي الذي فقدوه، وأسس لطبقية مقيتة بين طبقات المجتمع المختلفة. (العنزي، 2015، ص 41-42).

ولأجل هذه الظروف الاجتماعية التي رافقت عروة؛ وُجدت تيمة تسربت إلى شعره بشكل كبير، هي: اعتماده على القيم، فهو يخلق -مثلا- نتيجة حجاجية عامة تُمثل ردّا على اضطهاد مجتمعه الذي وسمه بسمة سلبية، وهذه النتيجة مطردة في قصائده، ومقطوعاته، وهي: أن قيمة الإنسان بفعله، لا بماله أو بطبقته الاجتماعية، ويمثل هذه النتيجة صراحة في قوله (من الكامل)، (ديوانه، ص57):

ما بالثّراءِ يسُودُ كلُّ مُسوَّدٍ	مثرٍ ولكن بالفعالِ يسودُ

وتمتلك نصوص عروة ميزة هامة باعتبارها مجترئة على أهم مبادئ التواصل البلاغي؛ حيث ينبغي وفقًا لهذا المبدأ: "أن تقوم النصوص الأدبية وغير الأدبية على توافق ضمني، أو اتفاق مسبق حول عدة أمور بين المرسل والمرسل إليه" (مشبال، 2017، ص 40). وهذه المخالفة تتعلق بالطبيعة الشخصية لعروة بن الورد الذي كان صعلوكًا، متمردًا على المجتمع، رافضًا لقيمه، فانطبع هذا التمرد في شعره، وحجاجه.

ولهذه الصعلكة قيمة مهمة صنعت حجاج عروة بن الورد؛ بوصفه ثائرًا على قيم مجتمعه، رافضًا معظم توجهاتهم الثقافية، وهذا الرفض يمثل مبدأ

(الاعتراض) الذي يُنشئ الحجاج، أو يسانده على الأقل؛ حيث إن الاختلاف والاعتراض يؤديان إلى وظيفتين يضطلع بهما المجادل، هما: "دعم أطروحته، ودحض أطروحة خصمه. [وكلاهما من مبادئ الحجاج الجدلي]" (البهلول، 2016، ص166)، وهذا ما يبعث على تقوية حضور الموجهات الحجاجية في شعر عروة بكثافة.

يلحظ أيضًا أن عروة بن الورد يستتر في حجاجه بمبدأ الإيجاد، الذي يُعنى بالصورة الأخلاقية للخطيب، والتي يظهر بها لتقوية خطابه أو غرضه الإقناعي (مشبال، 2017، ص 42)، فهو يحاول أن يظهر نفسه لا بشكل إيجابي فحسب، بل بشكل متفرد؛ حيث يقول (من الطويل)، (ديوانه، ص98):

بُنيتُ على خلقِ الرِجَالِ بأعظُمٍ	خِفافٍ، تثنّى تحتَهُنّ المَفاصلُ
وقلبٍ جَلا عنه الشُكوكَ فإن تشأ	يُخبّركَ، ظهرَ الغيبِ، ما أنتَ فاعلُ

فهو نموذج لإنسان متفرد خلقه الله كي يتمرد على وجوده، ووجود غيره، وهذا التفرد ناتج من مجموعة القيم، والأخلاق التي أقرّ الصعاليك استحقاق المتصف بها للسيادة (أسماء أبو بكر،1998، ص 98). وهذا التفرد في شخصيته، واستحقاقه للسيادة يدعمان قوة الحجاج، ويرسمان الطريق لقبول ما يحاجج عنه.

وهناك بعض الأدوات اللغوية شبه المنطقية التي تؤكد وجود هذا المسار الإيجادي في شعر عروة؛ حيث يُلحظ اطراد استخدامه لضمير المتكلم،

ولأدوات التوكيد في النص عندما يتعلق الأمر به، مثل قوله (من الطويل)، (ديوانه، ص61):

إنّي امرؤ عافى إنائِي شركةٌ	وأنتَ امرؤ عافى إنائِكَ واحدُ
أَتَهْزأُ مني أن سمنتَ وأن تَرَى	بوجهي شحوبَ الحقِّ، والحقُّ جاهدُ

وقوله (من الطويل)، (ديوانه، ص83):

فِراشي فراشُ الضيفِ والبيتُ بيتُه	ولم يلهني عنهُ غزالٌ مقنعُ
أُحدّثُه، إنّ الحديثَ مِن القِرى	وتعلمُ نفسي أنه سوف يهجعُ

وقوله (من الطويل)، (ديوانه، ص78):

سَلي الطارِقَ المُعتَرَّ يا أُمَّ مالِكٍ، إِذا ما أَتاني بَينَ قَدري وَمَجزِري

أَيُسفِرُ وَجهي، إِنَّهُ أَوَّلُ القِرى وَأَبذُلُ مَعروفي لَهُ دونَ مُنكَري

وبيّنٌ من كثرة استخدامه لياء المتكلم، وإن التوكيدية: أنه يحاول أن يصنع لنفسه هالة من القدسية، مقابل تلك الهالة التي صنعتها القبيلة، وبسبب قوة قدسية القبيلة في العصر الجاهلي؛ كان عروة مضطرًا للمبالغة في خلق تلك الهالة له. ولا أظن أن عروة يحاول تمجيد نفسه لمجرد التمجيد، بل كان في هذه المبالغة يحاول صدّ سيطرة القبيلة؛ ليمنع بالتالي تلك القيم الجاهلية التي

صنعتها تلك القبيلة، والتي لا تتوافق وأهم سمات الشخصية الإنسانية عند عروة.

كما أن لـ(أنا الشاعر) هنا دلالة أخرى تتعلق بتفرد اشتقاق المادة الفنية المستخدمة؛ فالصعاليك يتميزون باستخدام ضمير الملكية للفرد، بدلا من السائد في ذلك العصر وهو ضمير الجماعة؛ وذلك لأن المادة مشتقة من شخصيته هو لا من شخصية قبيلته (علي حسين، 2013، ص237).

وقد سبقت الإشارة إلى كثافة حضور القيم في شعر عروة، فهي وإن كانت من مصادر أقوال انطلاقه، إلا أنها لا تقتصر عليها، بل يتضمنها شعره بما فيه من: مقدمات، ونتائج، وحجج.

فعروة يدعو إلى الكرم، وينادي بالعدالة من خلال نصرة الضعيف، ويوجه للسعي لطلب الرزق، ويشدد بشكل فردي على أهمية المال، والقيم التي يدعو إليها هي قيم فردية، وهي التي تكون "موضع إجماع جماعات خاصة" (بنو هاشم، 2014، 45). وحتى تلك القيم الكونية التي أشار لها، مثل: العدل، نجده يُلبسها رداء مجتمعه فتتحول بذلك إلى قيم فردية، وهذا الاتجاه الذي انتهجه عروة، والذي يحصر فيه استفادته من القيم بالقيم الفردية فقط ربما هو نتاج من طبيعة المجتمع الجاهلي المنغلقة.

يقول عروة مثلا، في وجوب إحلال العدل من خلال نصرة المستضعفين (من الطويل)، (ديوانه، ص48):

كما أنه لا يتركُ الماءَ شاربُه	فلا أترك الإخوان ما عشت للردى
كمن باتَ تسري للصّديق عقاربُه	ولا يُستضامُ، الدهرَ، جاري، ولا أُرى
تغافلتُ حتى يستر البيت جانبه	وإنْ جارتي ألوَتْ رياحٌ ببيتها

ويقول في ذم البخل والحث على الكرم (من الوافر)، (ديوانه، ص50):

وأني لا يريني البخل رأي	سواءٌ إن عطِشتُ، وإن رويت

ويقول في أهمية المال في حياة الفرد، وذم الفقر (من الكامل)، (ديوانه، ص54):

المالُ فيه مهابةٌ وتجلةٌ	والفَقْرُ فِيهِ مذلّةٌ وفُضُوح

كل هذه القيم قد تؤثر بحكم المتلقي من حيثية قبول النتيجة، وتساعد في تحديد موقفه، ومن ثم توجيه العملية الحجاجية إلى الوجه التي أرادها عروة. والحجاج لا يتوجه لهذه القيم في المقام الأول، إنما هي مُوطئة لقبول الحجاج الذي أراده، ففي حثه على العدل –مثلًا– أراد تحقيق مبدأ الإيجاد، وذلك بأن يحيط شخصيته بجذوة من القداسة، حتى يتوصل منها إلى كمال أفعاله التي تُوجب له السيادة.

وترتبط القيم المجردة في نظر الباحثين في الحجاج "بتبرير التغيير والفكر الثوري" (بنو هاشم، 2014، 45). وهذا ما يتضح في شعر عروة بن الورد، الذي يستجلب القيم كثيرًا لنقد مجتمعه، وبالتالي تبرير تمرده.

ومن تمام الوضوح في شعر عروة أنه يميل كثيرا لإعلان موقفه، فهو يُعلن من البداية اتفاقه مع القضية أو عدم اتفاقه، ليجرّ بعد ذلك دلالاته على موقفه، أو نتيجته، وحتى في المرات التي نعتقد أنه لا يتخذ موقفًا، هو في الحقيقة يتخذ موقفًا؛ مثل استفهامه في قوله (من الطويل)، (ديوانه، ص78):

سَلي الطارِقَ المُعتَرَّ يا أُمَّ مالِكٍ، إذا ما أَتاني بَينَ قَدري وَمَجزِري

أَيُسفِرُ وَجهي، إِنَّهُ أَوَّلُ القِرى وَأَبذُلُ مَعروفي لَهُ دونَ مُنكَري

فقد أراد من هذا الاستفهام تأكيد حقيقة تتعلق به، هي: كرمه النبيل، وأراد شخصًا يشاطره نفس الرأي بالنسبة للموقف، ويدلنا على ذلك: أنه التزم بصحة الموقف، في مقطوعات أخرى.

يمكن القول: إن الموجهات الحجاجية التي تتواجد في بنية اللغة، أو في بعض التراتبيات الخاصة بالخطاب، والتي من شأنها أن تدعم حضور الحجاج في أي نص لغوي، قد وُجدت في شعر عروة بكل فائق، وهذا ما خلق لحجاجه قوة، ويمكن تفسير ذلك في ضوء المنطلقات الذاتية لشخصية الصعلوك الجامحة، وكذلك السمات الشخصية لعروة نفسه، الذي كان منتفضًا للمضطهدين في المجتمع، والنهوض بقيمة هذا الصنف من الناس عادة، يستلزم جهادًا شديدًا، وهذا ما حققه خطاب عروة الحجاجي.

2.4. العاذلة في شعر عروة بن الورد:

تمثل العاذلة رمزا حواريا لجأ له الشعراء منذ العصر الجاهلي، وهي غير حقيقة في غالب المرات، إنما تمثل مفتاحا يلج منه الشاعر لعرض موقفه، وغالبا ما يكون الشاعر في هذا الموقف معارضا، وبالتالي فإنه سيحتاج للاحتجاج لرأيه.

وبسبب سطوة القبيلة في المجتمع الجاهلي؛ عبّر الصعاليك عن تمردهم على استبداد القيم القبلية الجاهلية المتعسفة من خلال الشعر، واضطروا إلى وسيط يوصلون من خلاله هذا التعبير، فكانت المرأة العاذلة.

وتصور الشاعر الجاهلي للمرأة العاذلة "يعد باعثًا من بواعث تخليد ذاته الشاعرة، فيحاورها معبرًا عن شيمه، ومناقبه، مظهرًا قدرا كبيرا من المكابرة، وعدم الاكتراث لما يلاقي في سبيل مواجهة همومه، وقلقه" (عبد الحسين طاهر، مولود محمد، 2009، ص 44).

وللمرأة في حياة الصعاليك قيمة خاصة؛ فقد اختلفت رؤيتهم لها عن رؤية من سبقهم من شعراء الجاهلية الذين اختزلوها في الجسد، فعبر الصعاليك في شعرهم عن إنسانية المرأة، ومشاركتها الحياة إلى جانب الرجل، فهي الحبيبة، والزوجة الملهوفة، والمحاورة، ورفيقة الضراء (حمدوش،2014، ص 271).

إن (الحكم) من الأركان المفصلية في الجهاز الحجاجي، لأنه "يرتبط باتخاذ موقف يتبناه الفاعل المحاجج تجاه صحة الخبر، وهو ما سيجرّه إلى

إنشاء حجاج في هذا الاتجاه أو ذاك" (شارودو،2009، ص 56). ولأن حجاج شعر عروة يميل إلى فرض النتائج؛ سنفترض أنه يميل دائما لإبداء موقفه من القضية، وهذا أيضًا يتناسب مع كثافة وجود الموجهات الحجاجية في شعره، ويتناسب مع الحجاج الجدلي الذي يسم نصوصه عامة.

ولما كانت (المعارضة) هي التيمة العامة التي يعبر بها عروة عن موقفه من الحجاج، فقد احتجاج مثل غيره من الشعراء إلى وسيط يعبر من خلاله عن هذه المعارضة، فلجأ إلى المرأة، يحاورها، ويفرض من خلالها رأيه.

أما عن ماهية النتيجة التي يؤسس لها هذا الحكم، فيلحظ أن (الخروج للقتال) يمثل منحنى مهما في حياة الصعلوك؛ لأنه يمثل صراعه الداخلي مع مجتمعه القابع فيه، والرافض لقيمه في ذات الوقت، فالخروج للقتال يمثل إلى جانب أمور كثيرة في حياة الصعلوك: خروجًا من وطأة المجتمع الظالم، والقتال في حد ذاته يمثل الصراع الذي يختلج في نفسه؛ لذا نجد أن حجاج عروة مع العاذلة يروم نتيجة واحدة هي: أنه يستحق الخروج للقتال.

وأتفق مع الباحثين الذين تبنوا فكرة أن المرأة العاذلة في الشعر(مُتخيلة) وليست حقيقة؛ حيث كانت في كثير من الأحيان تجسيدًا لقناع فني يُخفي الشاعر خلفه معاناة من المناخ النفسي المفعم بالجبرية القاسية التي عاشها (عبد الحسين طاهر، مولود محمد، 2009، ص65)، وأضيف: أن المرأة العاذلة وُظّفت في الشعر بوصفها وسيلة حجاجية.

ولما كان للحجاج بوصفه ممارسة، ثلاث آليات كبرى هي المكون السياقي/الثقافي، والمكون المنطقي، والمكون اللغوي. وتسري علاقات التأثير

بين هذه المكونات الثلاث سرياناً طبيعياً ولازماً (الشهري، 2013، ص 217)؛ كان من الصعب تصنيف فكرة وجود العاذلة في الشعر؛ فهي وسيلة جاءت بفعل عنف الثقافة، وهي أيضًا محاورة افتراضية، وأخيرا هي تقنية من تقنيات الحجاج المنطقية في بناء النص.

وبناء على ذلك يمكن الحكم على حوار عروة بن الحكم مع العاذلة بأنه حوار ذو طرف واحد، وفُسّر بأن "الخطاب المكتوب لا يسمح بقيام حوار له عناصر الجدالات ذات الطرفين" (لايكوف،1996م،ص 103) ولذلك فإنه "ينشأ شكل خاص للجدال ذي الطرف الواحد... ولا يواجه المؤلف غريما حقيقا، بل مجموعة من الغرماء المفترضين، أو مجموعة من الغرماء الحقيقين غير الحاضرين للدفاع عن أنفسهم، أو للقيام بمجهود مضاد"(لايكوف،1996م،ص 103)، وهذا من تأثير البيئة التي عاش فيها عروة الذي ما استطاع الانفكاك من سطوة القبيلة الجائرة في نظره، حتى وإن كان ثائرًا عليها، ورافضًا لجورها.

ومما يبرهن على فكرة استخدامه المرأة العاذلة بصفتها وسيلة حجاجية: أنها في أكثر من 80% من المواضع التي حضرت فيها المرأة العاذلة في ديوانه جاءت في مقدمات الحجاج، وكونها في المقدمة يعطي انطباعًا كافيًا عن مدى فعاليتها في تيسير العملية الحجاجية، وتطويع المتلقي لقبول أفكاره التي سيعرضها.

وتتخذ العاذلة في شعر عروة شكلين: إما امرأة كثيرة اللوم تحبه وتخاف عليه، وتدعوه لترك القتال، وترك الإسراف في إنفاق المال، يقول على لسانها (من الطويل)، (ديوانه، ص82):

تقولُ: ألا أقصرْمن الغزو، واشتكى	لها القولَ، طرفٌ أحورُ العينِ دامعُ

وإما أخرى قليلة اللوم تدعوه للإقدام في الحرب، والكرم في إنفاق ماله، يقول على لسانها (من الكامل)، (ديوانه، ص 54):

ما لي رأيتُكَ في النّديّ منكَّساً	وَصِباً، كأنّكَ في النّديّ نَطيح؟
خاطِرْ بنفْسِك كَي تُصِيبَ غَنيمةً	إنّ القُعودَ، معَ العِيالِ، قبيحُ

ويبدو أنّ هاتين المرأتين تمثلان الصراع الذي يختلج في نفس عروة، فهو يتمنى أن يصيب أعلى مكارم الجاهليين: الكرم، والشجاعة، من خلال الإنفاق والإقدام في الحرب، وفي الوقت ذاته يهاب الموت والفقر الناتجين من هذه المكارم، ويبرهن على ذلك اختلاف طريقة تسمية عروة للمرأة العاذلة، فهو يسميها تارة، ويخفي اسمها تارة أخرى، ويسميها بأم حسان مرة، وباسمها مرة.

والارتباط بين التسمية وما أراده عروة وثيق جدًا، فهو عندما يتكلم عن المرأة الأولى التي تحبه، يتكلم عن نفسه التي تطلب منه العناية بها، إن لم يكن لأجله فلأجل أولاده؛ ولأن نفسه تأبى الذل بكافة أشكاله، وذل الفقر تحديدا، والذي يؤذيها أكثر أن يصل بؤس الفقر إلى أولاده، ارتبطت تسمية العاذلة هنا بأولاده، فيقدم: أم حسان على اسمها، فهو ينظر لها باعتبارها مرتبطة بأولاده، وأُما لهم.

وفي المرة الوحيدة في ديوانه التي طلبت منه العاذلة المضي للقتال والإقدام، والمخاطرة بنفسه، ذكرها باسمها دون الارتباط بأولاده، فقال (من الكامل)، (ديوانه، ص54):

قالت تماضرُ إذ رأتْ مَالِي خَوى	وجفا الأقاربُ، فالفؤادُ قريحُ
ما لي رأيتُكَ في النّديّ منكَّساً	وَصِباً، كأنّكَ في النّديّ نَطيح؟
خاطرْ بنفْسِك كَي تُصِيبَ غَنيمةً	إنّ القُعودَ، معَ العِيالِ، قبيحُ

وذلك لأن نفسه المسرعة للإقدام لا تفكر بأولاده الذين سيتركهم، بل وتسمي تفكيره بالقعود معهم قبيحًا، لكن نفسه الأخرى التي تمثل أما لأولاده تدعوه للإحجام والتوقف، والتفكير بهؤلاء الأطفال.

ويمكن القول بناء على ما مثلته العاذلة في شعره: بأن العاذلة تمثل ذات عروة المتناقضة، فهي تدعوه إلى الإقدام مرة، وتخوفه من عواقب هذا الإقدام مرات كثيرة. وأن حضور العذل أو اللوم في شعر عروة يمثل جانبا من شخصيته اللوامة المُسائلة للمجتمع.

يبرهن على ذلك أيضًا كثرة ذكره (النفس) عندما يتحدث مع العاذلة، فهول يقول (من الطويل)، (ديوانه، ص 87):

أرى أم حسان الغداة تلومني	تخوفني الأعداء والنفس أخوف
فإني لمستاف البلاد بسربة	فمبلغ نفسي عذرها أو مطوف

ويقول (من الطويل)، (ديوانه، ص 67):

أَقِلّي عَلَيَّ اللّوْمَ يا ابْنَةَ مُنْذِرِ	ونامِي، فإنْ لم تَشْتَهي النَّومَ فاسْهَرِي
ذَرِيني ونَفسي أُمَّ حَسَّانَ، إنني	بها قبل أن لا أملك البيع مشتري

ويقول (من الكامل)، (ديوانه، ص 54):

خاطِرْ بنفْسِك كَي تُصِيبَ غَنيمةً	إنّ القُعودَ، معَ العِيالِ، قبيحُ

وتدلنا عدد من الآليات اللغوية المستخدمة ردًا على العاذلة، والتي من شأنها أن تؤكد النتيجة الحجاجية، على أن عروة لجأ لهذه العاذلة بصفتها وسيلة حجاجية لدعم حجاجه، مثل:

- استخدامه في حواره مع العاذلة مفردات لغوية ذات حمولة دلالية كثيفة من شأنها أن تدعم الحجاج، مثل كلمة:(دعيني) التي اطردت في عدد من المواضع، فهو يريد أن يقول لها أبغضيني؛ لأن الترك ضرب من البُغض، كما قال ابن منظور: "وعليه قرأَ بعضهم: ما وَدَعَكَ رَبُّكَ وما قَلى، لأَن التَرْكَ ضَرْبٌ من القِلى"(ابن منظور، مادة ودع، ج8، ص384)، وهو في الوقت ذاته يذكر محامده التي يجب أن يُمجّد ويحب لأجلها، وهذا التناقض وليد رؤيته في الحياة، فهو يريد أن يحب قبيلته، لكن فعالهم تمنعه من ذلك. وعليه هو ناقم على نفسه وعلى انتمائه لهم، لذلك يريدها أن تهجره وتبغضه. ومن جهة أخرى هو بهذا النداء لبغضه يعزز مبدأ الإيجاد، وخلق صورة شديدة المثالية له، لأنه لن يناديها لتبغضه مالم يكن إنسانًا من الصعب أن يُبغض، ومالم تكن تحبه.

- عندما كان عروة يردُ على العاذلة استخدم أدوات توكيدية، وهذا يؤكد على أنها كانت مُعارضة افتراضية، فهو مضطر لاستخدام إن التوكيدية لإقناعها، وهي لا تملك بعد هذا التوكيد إلا الاستسلام والاقتناع، مثل قوله (من الطويل)، (ديوانه، ص 87):

فإني لمستاف البلاد بسُربةٍ	فمبلغُ نَفسِي عُذْرُها أو مطّوفُ

ويقول في موضع آخر (من الوافر)، (ديوانه، ص79):

دعِيني للغنى أسعَى، فإنّي	رأيتُ الناسَ شرُّهمُ الفقيرُ

ويقول أيضًا للعاذلة (من الطويل)، (ديوانه، ص 71):

ألم تعلمي، يا أُمّ حسّانَ، أنّنَا	خلِيطا زيالٍ، ليس عَن ذاك مَقصَر
وأن المَنَايا ثغرُ كل ثنية	فهل ذاك عمّا يَبْتغِي القَوم مُحْصِرُ

ويقول (من الطويل)، (ديوانه، ص 67):

ذَرِيني ونَفسي أُمَّ حَسَّانَ، إنني	بها قبلَ أن لا أملكُ البيعَ مُشتري

- يستخدم عروة أيضًا في إقناع مخاطبته: الوصف، وهو من الأدوات اللغوية التي تمثل حجة للمخاطب، كما أن استعمال مشتقات بعينها قد يكزن دالًا على درجة الحجاج (الشهري، 2013، ص222، 221)؛ لأنه "لا يخلو اختيار اللقب، أو إطلاقه من قصد حجاجي، إذ لا يقصد به تصنيف

الموصوف بالنظر إلى السمات التي تشركه مع العناصر التي ينتمي إليها فحسب، ولكنه يعبر غالبا عن تحديد موقفه منه، وطريقة الحكم عليه ومعالجته" (الشهري، 2013، ص234).

وبالنظر إلى شعر عروة يلحظ أنه يميل إلى استعمال نماذج معينة من الأوصاف عندما يعبر عن نفسه، مثل: اسم الفاعل، وصيغ المبالغة، واسم التفضيل، واستخدامه لهذه المشتقات يخلق له حضورًا غنيًّا داخل النص، ويؤدي بالتالي إلى هيمنته على الحجاج التي يريد منها إلزام الفاعل الهدف بحججه. يقول (من الطويل)، (ديوانه، ص82) ردًا على العاذلة:

لبوس ثياب الموت حتى إلى الذي	يُوائمُ إمّا سائمٌ، أو مُصارع
كأني حصان مال عنه جلاله	أغرُّ، كريمٌ، حوله العُوذُ، راتع

ويقول (من الطويل)، (ديوانه، ص 71):

هُم عيّروني أنّ أُمّي غريبةٌ	وهل في كريمٍ ماجدٍ ما يُعيَّر؟

فاستخدم عددًا من الصفات التي تشير إلى مثاليته الشديدة، فهو (لبوس)، و(أغرّ)، و(كريم)، و (ماجد)، فأجاب عاذلته بهذه الصفات العالية، حتى لا تمنعه من الإقدام، والمضي؛ لأنه ليس من شأن مالك هذه الصفات القعود، والتعفف عن الكرم والقتال.

- استخدم عروة أيضًا أحد الأساليب الحجاجية الشديدة النفاذ في رده على عاذلته، وهو: الاستفهام، و"يعد الاستفهام من أنجع أنواع الأفعال

اللغوية حجاجاً، وهو ما يتوسل به الكثير في فعلهم" (الشهري،2013، ص229). إذ طرح السؤال يمكن أن يضخم موضوع الاختلاف حول موضوع ما إذا كان المخاطب لا يشاطر المتكلم الإقرار بجواب ما، كما يمكن أن يلطف السؤال ما بين الطرفين من اختلاف إذا كان المخاطب يميل إلى الإقرار بجواب غير جواب المتكلم" (القارصي، 1998، ص400).

والاستفهام المستخدم في الحوار مع العاذلة هو استفهام تقريري، "والاستفهام، هنا، هو الحجاج في ذاته، وهو فعل حجاجي بالقصد المضمر فيه، كما يوجهه السياق" (الشهري،2013، ص231). ومن الأمثلة على هذا الاستفهام في شعر عروة (من الطويل)، (ديوانه، ص 97):

دعِيني أُطوّفْ في البلادِ، لعلّني	أُفِيدُ غِنًى، فيه لذي الحقّ مُحْمِلُ
أليـــــــس عظـــيماً أن تلم ملمة	وليس علينا في الحقوق معول

وقوله (من الطويل)، (ديوانه، ص78):

سَلي الطارِقَ المُعتَرَّ يا أُمَّ مالِكٍ، إذا ما أَتاني بَينَ قَدري وَمَجزِري

أَيُسفِرُ وَجهي، إِنَّهُ أَوَّلُ القِـــــرى وَأَبذُلُ مَعروفي لَهُ دونَ مُنكَـــــري

وقوله (من الطويل)، (ديوانه، ص 71):

هُم عيّروني أنّ أُمّي غريبةٌ	وهل في كريمٍ ماجدٍ ما يُعيَّر؟

ومن البين أن عروة لا يبتغي من العاذلة إجابة، بقدر ما يبتغي منها إقرارًا بالحجة من خلال هذا الاستفهام، وهذا الإقرار يساهم بشكل كبير في حياكة النتيجة، وفي قبول الفاعل الهدف لها.

وهذا الحشد الآلي للتقنيات الحجاجية عالية التوجيه في حواره مع العاذلة يؤكد على أن عروة بن الورد لجأ إلى المرأة العاذلة بصفتها عنصرا حجاجيًا فعّالًا يعبر من خلاله عن صراعاته الداخلية، ويوظفه بوصفه جسرًا لتمرير قناعاته.

5. الخاتمة:

لقد عُني هذا البحث بدراسة الحجاج في شعر عروة بن الورد، وبناء على دراسة بواعث النزعة الحجاجية في ديوانه، ودراسة أقوال العملية الحجاجية، وبعض الآليات اللغوية المستخدمة في التأثير بالآخر، بما فيها (المرأة العاذلة)، يمكن القول بأن أهم النتائج التي توصل لها هذا البحث هي:

1- يميل عروة بن الورد إلى استخدام الحجاج الجدلي؛ حيث جاءت مكونات العلاقة الحجاجية في شعره محققة النتائج بشكل إلزامي، لا يملك معها المتلقي إلا التسليم.

2- لقد تحكمت السمات المتأتية من الصعلكة، وبعض السمات الشخصية في عروة بن الورد في طريقة شعره؛ فجاء شعره مفعما بنزعة حجاجية حادة، تتبين في بعض المبادئ الحجاجية، مثل: الإيجاد، والاتكاء على بعض القيم.

3- جاءت الموجهات الحجاجية في شعر عروة بشكل كثيف؛ مما يؤكد ميله إلى فرض النتائج؛ فهو يحاصر المتلقي بالنتيجة مستفيدا من كل الإمكانيات الحجاجية للغة.

4- استخدم عروة (المرأة العاذلة) بصفتها قناعًا لذاته الأخرى، يعبر من خلالها عن أفكاره دون حرز من سطوة القبيلة، كما أنه وظّفها بصفتها وسيلة حجاجية جاءت -غالبًا- في مقدمات استدلاله، ووجّه من خلالها المتلقي إلى ما يريد من نتائج.

وعلى هذا يمكن القول: إن البحث في إمكانات اللغة قد يكشف لنا بياضات الخطاب التي قد تكون معبرة عنه أحيانا أكثر من سواداته، كما أن اللغة جسر يوصلنا إلى فهم الفكر، ونقده، وبناء على ذلك؛ فأوصي بمتابعة الدراسات اللغوية التي تبحث في إمكانات اللغة، والاستفادة منها في نقد وتوجيه الفكر، وأوصي كذلك بقراءة التراث العربي من خلال المناهج اللسانية الحديثة.

المصادر والمراجع:

1- الأمين، محمد سالم. (2004). حجاجية التأويل. ط1. المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر. الجزائر.

2- إيمرن، فرانز فان. وغروتندورست، روب. (2016). نظرية نسقية في الحجاج: المقاربة الذريعية الجدلية. ط1. ترجمة: عبد المجيد جحفة. دار الكتاب الجديدة المتحدة. بيروت.

3- البهلول، عبد الله. (2016). الحجاج الجدلي: خصائصه الفنية وتشكّلاته الأجناسية. ط1. كنوز المعرفة. عمان.

4- الجرجاني، علي بن محمد الشريف. (1985م). كتاب التعريفات، مكتبة بيروت. لبنان.

5- الحباشة، صابر. (2008). التداولية والحجاج: مداخل ونصوص. ط1. صفحات للدراسات والنشر. دمشق.

6- حمدوش، العربي. (2014). المرأة في شعر صعاليك الجاهلية. مجلة العلوم الإنسانية: مج أ، ع41. ص 271-283.

7- الدريدي، سامية. (2007). الحجاج في الشعر العربي: بنيته وأساليبه. ط2: 2011م. عالم الكتب الحديث. إربد.

8- الراضي، رشيد. (2012). مفهوم الموضع والحجاجيات اللسانية لأنسكومبر وديكرو. مجلة عالم الفكر: مج40، ع2. ص 193-237

9- الراضي، رشيد. (2014). المظاهر اللغوية للحجاج: مدخل إلى الحجاجيات اللسانية. ط1. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء.

10- الزركلي، خير الدين. (1927). الأعلام: قاموس مترجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. ط15: 2002م. ج4. دار العلم للملايين. بيروت.

11- الزماني، كمال. (2012). حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي. ط1. عالم الكتب الحديث. إربد.

12- السكيت، يعقوب بن إسحاق. (1926). شرح ديوان عروة بن الورد العبسي لابن السكيت. اعتنى بتصحيحه: ابن أبي شنب. مطبعة كربونل. الجزائر.

13- شارودو، باتريك. (2009). الحجاج بين النظرية والأسلوب: عن كتاب نحو المعنى والمبنى. ترجمة أحمد الودرني. ط1. دار الكتاب الجديد المتحدة. بيروت.

14- الشهري، عبد الهادي ظافر. (2013). آليات الحجاج وأدواته. ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته: دراسات نظرية وتطبيقية محكمة في الخطابة الجديدة. مجموعة من المؤلفين. ج1. تحرير وإشراف: حافظ إسماعيلي علوي. ط1. ابن النديم للنشر والتوزيع. الجزائر. دار الروافد. بيروت.

15- صمود، حمادي. (1998). مقدمة: في الخلفية النظرية للمصطلح. ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم. ط1. أشرف عليه: حمادي صمود. منشورات كلية الآداب بمنوبة. تونس.

16- صولة، عبد الله. (2001). الحجاج في القرآن الكريم: من خلال أهم خصائصه الأسلوبية. ط2: 2007م. دار المعرفة. تونس.

17- طاهر، عبد الحسين. وزايد، مولود محمد. (2009). العاذلة في الشعر العربي قبل الإسلام: دارسة في البنية الموضوعية والفنية. مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية: مج8، ع15. ص 39-67.

18- العزاوي، أبو بكر. (2006). اللغة والحجاج. ط1. العمدة في الطبع. الدار البيضاء.

19- العزاوي، أبو بكر. (2010). الخطاب والحجاج. ط1. مؤسسة الرحاب. بيروت.

20- العنزي، صغير. (2015). شعرية الانشقاق: رؤية العالم في شعر الصعاليك. ط1. مركز النشر العلمي والتأليف والترجمة، جامعة الحدود الشمالية. عرعر.

21- الغرافي، مصطفى. (2015). البلاغة والإيديولوجيا: دراسة في أنواع الخطاب النثري عند ابن قتيبة. ط1. دار كنوز المعرفة. عمان.

22- القارصي، محمد علي. (1998). البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار. ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم. أشرف عليه حمادي صمود. ط1. منشورات كلية الآداب بمنوبة. تونس.

23- لايكوف، جورج. (1996). الاستعارات التي نحيا بها. ترجمة: عبد المجيد جحفة. ط2: 2009. دار توبقال. الدار البيضاء.

24- مشبال، محمد. (2007). في بلاغة الحجاج: نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات. ط1. دار كنوز المعرفة، عمان.

25- ابن منظور، (1990م). لسان العرب، ج2، ج8، ج10، ط3: 1994م. دار صادر. بيروت.

26- بنو هاشم، الحسين. (2014). نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان. ط1. دار الكتاب الجديد المتحدة. بيروت.

27- ابن الورد، عروة. (1998). ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك. تحقيق: أسماء أبو بكر محمد. ط1. دار الكتب العلمية. بيروت.